

جابر بن عبد الله الأنصاري

محسن الأسدي

في أكثر من مقالة، نشرت في هذه المجلة، تناولت في خلالها العديد من شخصيات الحرمين الشريفين مكة والمدينة، وهم من شخصيات العصر الأول لانبثاق رسالة السماء الخالدة، في ربوع الحجاز وفي المدينة وما حولها، حتى راحت ترتفع رايتها - راية الحق والعدل والمساواة - في كل بلدان الأرض وفجاجها. وتحدثت وبشكل مختصر واضح عن ملاكاتهم الذاتية التي أحييتها الدعوة الجديدة، وعمّا قدّموه من تضحيات بالأنفس والأموال لإرساء دعائمها، ولمنع كيد الأعداء عنها، وترصدهم للإطاحة بها، كلّ ذلك من أجل أن تبقى أمانة سماوية خالصة تتوارثها الأجيال وتستنير بها وتستضيء بمفاهيمها وعطائها الذي لا يعرف النضوب، إلا أنّي ما إن أنتهي من واحد منهم حتى أصل إلى آخر لا يقلّ سموّاً عن الأول، وكأنتهم واحد في صفاتهم وعطائهم، أو كأنتهم يتسابقون في الخيرات، وكيف لا يكونون كذلك وهم إعداد

مدرسة ربانيّة واحدة ذات هدف واحد ومنهج واحد ومبادئ وقيم واحدة، إرتووا من معين رباني واحد، ولا غرابة في ذلك أيضاً بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه، وملئت نفوسهم شوقاً إلى لقاءه، لهذا نراهم يطلبون الموت ويتحاثون عليه.

لقد كانت المدرسة التي انضوا تحت لوائها مدرسة رائعة، وعطاؤها التربوي كان عطاءً صادقاً، إنّها مدرسة رسول الله ﷺ وإنّها تربيته الإيمانيّة الخاصة، فخلّفت طائفة طيبة، ونخباً سالحة، وزمراً نافعة خالدة، لهذا كان حبهم لرسول الله ﷺ عظيماً ووفاءهم له صادقاً، اضطر ذلك الحب وهذا الوفاء أبا سفيان، أكبر أعداء الرسالة وأخطرهم وأبغضهم لرسول الله ﷺ ولمن تبعه من الأصحاب، اضطره أن يقول قولته المشهورة، وقد أطلقها مرغماً بعد أن لم يجد لها بديلاً، وبعد أن رأى الحقيقة ساطعة، لا تخفى: «ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كما يحبُّ أصحاب محمد محمداً».

والأنصار هؤلاء «الذين آووا ونصروا» فاستحقوا أن يصفهم القرآن الكريم بأنهم: «أولئك هم المؤمنون حقاً» وهم الذين - حسب تعبير القرآن الكريم - «يحبّون من هاجر إليهم».

وقال رسول الله ﷺ فيهم: «لولا الهجرة لكننتُ امراً من الأنصار». والأنصاري هذا كان واحداً منهم. بل من القلة الذين لم تتفرّق بهم السبل بعد النبي ﷺ ولم يستبقوا الصراط بعده، وظلّوا معتصمين متمسكين به وبآل بيته الطاهرين عليهم السلام.

إنّه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن مسلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزويد بن جشم بن الخزرج. ولد سنة ١٦ قبل الهجرة النبويّة المباركة، ويكنى بأبو عبد الله) ويقال له: أبو عبد الرحمن، أو أبو محمد الأنصاري الخزرجي السلمي الحرامي المدني. كان واحداً من تلك الطائفة المؤمنة والنخبة السالحة، وخريج تلك المدرسة

**والأنصاري هذا كان واحداً
منهم. بل من القلة الذين لم تتفرّق
بهم السبل بعد النبي ﷺ ولم
يستبقوا الصراط بعده، وظلّوا
معتصمين متمسكين به وبآل بيته
الطاهرين ﷺ.**

وكان يومها مع أبيه في تلك الليلة
التاريخية المصيرية التي عاهد فيها
أهل يثرب (الأوس والخزرج)
رسول الله ﷺ على الدفاع عنه ودعم
مسيرته الطاهرة ونصرته، وكانت
بيعتهم يومذاك هي البيعة المشهورة
المعروفة في التاريخ الإسلامي بـ(بيعة
العقبة الثانية).

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة
مهاجراً، راح هذا يقضي أكثر وقته في
صحبة رسول الله ﷺ وفي خدمته،
فشهد معه حروبه وظلّ حارساً أميناً
لهذا الدين وللحق الذي يمثله،
ولرجاله المخلصين المتمثلين في أهل
بيت النبوة والطهارة، فلم يدخر

الربانية النبوية، وكان صحابياً ذائع
الصيت، متميزاً في دينه وإيمانه
ومواقفه وولائه لرسول الله ﷺ وأهل
بيت رسول الله ﷺ بيت العصمة
والطهارة، وكان معروفاً في علمه
ومعرفته؛ فقد كان من كبار الصحابة
المفسرين للقرآن، والراوين
للأحاديث النبوية، ولأخبار أهل
البيت ﷺ ورواياتهم، بل لقد روى
عنه أحد أئمة أهل البيت ﷺ وهو
الإمام محمد الباقر ﷺ كما سنرى.

بيعته

ظلّ جابر هذا - وهو من أكابر
أعيان أهل المدينة - ذا منزلة كبيرة،
وسمعة كريمة، وهب كلّ وجوده
لخدمة رسول الله ﷺ، ووضع نفسه
وحشاشة قلبه لمواصلة مسيرة
الإسلام الجهادية والعلمية معرفةً
وتفسيراً وروايةً ومواقف رصينة
شهدت له بها أكثر مشاهد
رسول الله ﷺ ومحافل المسلمين حتى
وفاته رضوان الله تعالى عليه، بعد أن
آمن برسول الله ﷺ ورسالته صيباً،

وسعاً في تبيان منزلة الإمام علي عليه السلام والتنويه بها والتحريض على اتباعها، والتي كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى، كما عبر عنها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، حتى قضى عمره الشريف كله مستقيماً، لم تعرف حياته الانحراف على طولها، وقد امتدت لأكثر من تسعين سنة، فكان آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله توديعاً لهذه الحياة ولحوقاً به صلى الله عليه وآله ..

قلنا: إنه ممن شهد بيعة العقبة الأخيرة والتي تسمى (بيعة الحرب)، فحينما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وآله في القتال، وبعد أن تمت البيعة الأولى أي العقبة الأولى، التي كانت كبيعة النساء، فيما كان هو ومن قد بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه واشترط على القوم لربّه، وجعل لهم الجنة إن وفوا بذلك.

فعن عبادة بن الصامت أنه قال:

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله بيعة الحرب - وكان عبادة هذا من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء - بايعناه على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسرنا ومُنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا تنازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

وكان عدد الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه البيعة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، كان جابر وأبوه منهم.

فمن شهدها - كما تقول الرواية - من بني حرام بن كعب بن عَنَم بن كعب بن سلمة، عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، نقيب، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد شهيداً، وابنه جابر بن عبد الله... (١).

يقول جابر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، وأخرجني خالي وأنا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٦٣.

لا أستطيع أن أرمي بحجر^(١).

ويقول في رواية أخرى: حملني خالي جدُّ بن قيس -
وما أقدر أن أرمي بحجر - في سبعين راكباً من الأنصار
الذين وفدوا على النبي ﷺ.

قال: فخرج إلينا رسول الله ﷺ ومعه العباس بن عبد
المطلب، فقال: يا عم خذ لي على أخوالك.

قالوا: يا محمد سل لربك ولنفسك ما شئت.

قال: أمّا الذي أسأل لربي، فتعبده، ولا تشركوا به
شيئاً، وأمّا الذي أسأل لنفسي، فتمنعوني ممّا تمنعون منه
أموالكم وأنفسكم.

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال: الجنة.

لقد كان جابر - رضوان الله عليه - من المندفعين
بإخلاص، ومن المبادرين بصدق للجهاد في سبيل الله
تعالى، وكان يتمنى أن يكون له دور ينال به رضا الله تعالى
في كلِّ معارك رسول الله ﷺ وإن كلفه حياته، لهذا تراه أوّل
مذبّ لأذان رسول الله ﷺ الذي حصل بعدما تعرّض له
جند الإسلام من هزيمة في واقعة أحد، وكان أبوه واحداً
من شهداء هذه المعركة، فقد كانت معركة أحد يوم السبت
للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يوم
الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال، أذن مؤذن
رسول الله ﷺ في الناس، يطلب العدو: ألا يخرجن معنا

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٥: ٣٥٨.

أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، ويقصد ﷺ به معركة أحد.

وما إن سمع جابر بهذا - وقد حُرِم من المشاركة في معركتي بدر وأحد - حتى قال: يا رسول الله ﷺ إن أبي كان خلفني على أخوات سبع، وقال لي: يا بُني! إنَّه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة، لا رجل فيهنّ، ولست بالذي أوشرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن.

وهنا أذن له رسول الله ﷺ، وكان جابر بهذا الإذن مستثنى من كلام رسول الله ﷺ: ألا يخرجنّ معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، يوم أحد.

وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرهَباً للعدو، وليبَلِّغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوّة، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم^(١).

وفي قول مفصّل لموسى بن عقبة أنّ النبي ﷺ أمر أصحابه - بعد معركة أحد مباشرة، وبهم أشدّ القرح - بطلب العدو وليسمعوا بذلك، وقال: لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال، يعني بأحد...

قال: وأقبل جابر بن عبد الله السلمي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ أبي رجعتي، وقد خرجت معك لأشهد القتال.

فقال: ارجع، وناشدني أن لا أترك نساءنا.

ظلّ جابر هذا - وهو من أكابر أعيان أهل المدينة - ذا منزلة كبيرة،

وسمعة كريمة، وهب كلّ وجوده لخدمة رسول الله ﷺ

وإنما أراد حين أوصاني بالرجوع، وجاء الذي كان أصابه من القتل فاستشهده الله فأرادني للبقاء لتركته، ولا أحبّ أن تتوجّه وجهاً إلا كنت معك، وقد كرهت أن تطلب معك إلا من شهد القتال، فأذن لي، فأذن له رسول الله ﷺ وأطاع،... وخرج رسول الله ﷺ إذ غدا فقال جلّ ثناؤه: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنون المقاعد للقتال والله سميع عليم﴾.

(١) انظر السيرة النبويّة ٣: ١٠٦-١٠٧، وغيرها من المصادر التاريخية.

هذا وقد شهد ثمانى عشرة غزوة مع النبي ﷺ ولم يتخلف إلا - كما أسلفنا -
عن غزوتي بدر الكبرى وأحد، بعد أن خلفه أبوه على أخواته، وكنّ تسعاً أو سبعاً
على رواية .

يقول هو عن نفسه: غزوتُ مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، وقال: لم
أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعتني أبي، فلما قتل عبد الله يوم أحد، لم أتخلف عن
رسول الله ﷺ في غزوة قط^(١).

وفي رواية أنه كان يبيع الماء يوم بدر لأهل بدر المسلمين، والميح في
الاستسقاء أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قلّ ماؤها، فيملاّ الدلو بيده يبيع فيها
بيده ويميح أصحابه .

إلا أنّ في مستدرك الحاكم (أمتح) بالتاء، ومعناه الاستقاء من أعلى البئر.
وفي مادة (منح) في اللسان: وأمّا حديث جابر: كنت منيح أصحابي يوم بدر،
فعناه: أي لم أكن ممن يضرب له بسهم مع المجاهدين لصغري، فكنت بمنزلة السهم
اللغو الذي لا فوز له ولا خسر عليه^(٢).

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٥٨:٥.

(٢) انظر مستدرك الحاكم ٥٦٥:٢، ولسان العرب مادة (منح)، ومختصر تاريخ دمشق ٣٥٨:٥.

وكانت أولى غزواته مع رسول الله ﷺ غزوة حمراء الأسد، واستمر معه حتى آخر مغازيه.

معركة الخندق في أحاديثه

شاة ومُدُّ من شعير

يحدثنا جابر رضوان الله عليه:
أصاب الناس كُدَيْةً^(١) يوم الخندق، فضرَبوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت.
فدَعَوْا رسول الله ﷺ فدعا بَاءٍ عليها فعادت كَثِيْبًا.
فرايْتُ - والحديث مازال لجابر - رسول الله ﷺ يحضر، ورايْتَه خميصاً،
ورايت بين عُكْنِه^(٢) الغبار، فأتيت امرأتي فأخبرتها ما رايت من حَمَصِ بطن
رسول الله ﷺ.

فقلت: والله، ما عندنا شيء إلا هذه الشاة ومُدُّ من شعير.

قال جابر: فاطحني وأصلحي.

قلت: فطبخنا بعضها وشوينا بعضها، وخُبِرَ الشعيرُ. قال جابر: ثم أتيت
رسول الله ﷺ، فمكثتُ حتى رأيت أن الطعام قد بلغ، فقلت: يا رسول الله، قد
صنعتُ لك طعاماً، فأتِ أنتِ ومن أحببت من أصحابك.

فشبَّك رسول الله ﷺ أصابعه في أصابعي، ثم قال: أجيئوا، جابِرُ يدعوكم!
فأقبلوا معه، فقلت: والله؛ إنها الفضيحة! فأتيت المرأة فأخبرتها.

فقلت: أنت دعوتهم أو هو دعاهم؟

فقلت: بل هو دعاهم!

قلت: دعهم، هو أعلم.

قال: فأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه، فكانوا خِرَقاً، عشرة عشرة، ثم

(١) الكُدَيْة: الأرض الغليظة أو الصلبة لا تعمل فيها الفأس. (المعجم الوسيط ٧٨٠).

(٢) العُكْن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن. (القاموس المحيط ٤: ٢٤٩).

قال لنا: اغرِفوا وغطّوا البرمة، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطّوه. ففعلنا فجعلنا نغرف ونغطّي البرمة ثم نفتحها، فما نراها نقصت شيئاً، ونخرج الخبز من التنور ثم نغطيه، فما نراه ينقص شيئاً.

لقد كان جابر رضوان الله عليه، وجمع من إخوته الصحابة، يقومون بحراسة الخندق من أن يقتحمه المشركون.

لقد كان جابر رضوان الله عليه، وجمع من إخوته الصحابة، يقومون بحراسة الخندق من أن يقتحمه المشركون.

يقول عن ذلك: لقد رأيتني أحرس الخندق، وخيل المشركين تُطيف بالخندق، وتطلب غرّةً ومضيقاً من الخندق فتتحم فيه.

وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك، يطلبان الغفلة من المسلمين.

فلقينا خالد بن الوليد في مائة فارس، قد جال بجيله يُريد مضيقاً من الخندق يُريد أن يعبر فرسانه، فنضحناهم بالنبل حتى انصرف^(٢).

وكان جابر يقول في وقعة الخندق ويشرح حالهم وقلقهم: كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشدّ من خوفنا من قريش! حتى خرج الله ذلك^(٣).

ولما راح عمرو بن عبد ودّ - بعد

فأكلوا حتى شبعوا، وأكلنا وأهدينا، فعمل الناس يومئذ كلهم والنبي ﷺ، وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمّداً على الجهاد ما بقينا أبداً

فقال النبي ﷺ:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة^(١)

(١) انظر كتاب المغازي للواقدي ٢: ٤٥٢.

(٢) المصدر السابق ٢: ٤٦٥.

(٣) المصدر السابق ٢: ٤٦٨.

أن عبر الخندق - يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بُحِتُّ من النداء لجمعكم هل من مبارز؟! ء

وعمر و يومئذٍ تائر، قد شهد بدرًا فارتث جريماً فلم يشهد أحداً، وحرّم الدهن حتى يثار من محمّد وأصحابه، وهو يومئذٍ كبير، يقال بلغ تسعين سنة، فلما دعا إلى البراز، قال عليّ عليه السلام: أنا أبارزه يا رسول الله! ثلاث مرات. وإنّ المسلمين يومئذٍ كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه، وعمّمه وقال: اللهم أعنه عليه!

وأقبل عمرو يومئذٍ - وهو فارس - وعليّ راجل، فقال له عليّ عليه السلام: إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحدٌ إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها!
قال: أجل!

قال: عليّ: فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتسلم لله ربّ العالمين. قال: يا ابن أخي، أخرج هذا عني.
قال: فأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يكن محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن غير ذلك كان الذي تريد.

قال: هذا ما تتحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت وحرّمت الدهن.
قال: فالثالثة؟

قال: البراز.

فضحك عمرو ثمّ قال: إنّ هذه الخصلة ما كنتُ أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني عليها! إني لأكره أن أقتل أمثالك، وكان أبوك لي نديماً، فارجع، فأنت غلام حدّث، إنّما أردتُ شيخي قريش أبابكر وعمر.
فقال عليّ عليه السلام: فإني أدعوك إلى المبارزة فأنا أحبّ أن أقتلك.
فأسف عمرو ونزل وعقل فرسه.

فكان جابر رضوان الله عليه يحدث ويقول عن هذا الموقف: فدنا أحدهما من

صاحبه وثارَت بينهما غبرةٌ فما نراها، فسمعنا التكبيرَ تحتها، فعرفنا أن علياً قتلَه .
فانكشف أصحابُه الذين في الخندق هارين، وطفرت بهم خيلهم، إلا أن
نوفل بن عبد الله وقع به فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة حتى قتل، ورجعوا
هاربين ...

ويواصل جابر حديثه عن هذه المعركة فيقول: قاتلونا يومهم وفرّقوا
كتائبهم، ونحو رسول الله ﷺ كتيبةً غليظةً فيها خالد بن الوليد، فقاتلهم يومه ذلك
إلى هويٍّ من الليل، ما يقدر رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من المسلمين أن يزيلوا من
مواضعهم، ... حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا متفرّقين، فرجعت قريش إلى منزلها،
ورجعت غطفان إلى منزلها، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله ﷺ .
وأقام أسيد بن حُضير على الخندق في مائتين من المسلمين...^(١).

من دعاء رسول الله ﷺ يوم الأحزاب

روى بعضهم أن رسول الله ﷺ كان يدعو على الأحزاب فيقول:
اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب! اللهم اهزمهم!
فكان جابر يقول: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب في مسجد الأحزاب

(١) المصدر السابق ٢: ٤٧٢-٤٧٣.

يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء.

قال: فعرفنا السرورَ في وجهه.

قال جابر: فما نزل بي أمرٌ غائظٌ مهمٌّ إلاّ تنحَّيتُ تلك الساعة من ذلك اليوم، فأدعو الله فأعرفُ الإجابة.

وعنه أيضاً أنه قال: قام رسول الله ﷺ على الجبل الذي عليه المسجد، فدعا في إزار ورفع يديه مدّاً، ثمّ جاءه مرّةً أخرى، فصلّى ودعا^(١).

آيات قرآنيّة

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٢).

يقول جابر في سبب نزول هذه الآية:

عادني رسول الله ﷺ وأبوبكر في بني سلمة يمشيان، فوجدني لا أعقل، فدعا بقاء فتوضاً، ثمّ رشّ عليّ منه فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟

فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٣).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾^(٤).

فعنه أنه قال:

اشتكيت، فدخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي سبع أخوات، فنفخ في وجهي

فأفقت، فقلت: يا رسول الله، أوصي لأخواتي بالثلثين؟

قال: اجلس.

فقلت: الشطر؟

(١) المصدر السابق ٢: ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) النساء، الآية: ١١.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي، ومختصر تاريخ دمشق ٥: ٣٦٢.

(٤) النساء، الآية: ١٧٦.

قال: اجلس، ثم خرج فتركني .
ثم دخل عليّ وقال لي: يا جابر إني لا أراك تموت في
وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبين الذي لأخواتك [جعل
لأخواتك] الثلثين .

وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في:
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ .
وفي رواية أخرى أنه قال: فقلت: يا رسول الله إنه
لا يرثني إلا كلاله، فكيف الميراث؟
فنزلت آية الفرائض .

**لقد وفق هذا الصحابي الجليل لعمى قضاة والإيمان
دربه الذي خلص من الشائبة والشطط والانحراف**

وفي رواية ثالثة: فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً حتى
نزلت آية الميراث يرونها ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي
الْكَالَةِ﴾ .

يقول: فهذه نزلت فيه (١) .

وعنه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٢) .

قال: بايعنا رسول الله ﷺ على الموت (٣) .

(١) أنظر أسباب النزول للواحدي، ومختصر تاريخ دمشق ٣٦٢:٥ .

(٢) الفتح، الآية ١٨ .

(٣) أنظر مختصر تاريخ دمشق ٣٥٩:٥ .

ستُدرِك رجلاً...!

لقد وفق هذا الصحابي الجليل لعمرك قضاء والإيمان
دربه الذي خلى من الشائبة والشطط والانحراف، حتى
أدرك خامس أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً، الإمام الباقر عليه السلام، وهم الذين
انقطع إليهم جابر وبقي على عهدهم وحبهم.

تقول الرواية عن حمدويه وإبراهيم ابني نصر، قالوا: حدّثنا محمد بن عيسى،
عن محمد بن سنان، عن حريز، عن أبان بن تغلب، قال: حدّثني أبو عبد الله عليه السلام،
قال: إن جابر بن عبد الله، كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان
رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو معتمّ
بعامة سوداء، وكان ينادي: يا باقر العلم! يا باقر العلم! وكان أهل المدينة يقولون:
جابر يهجر، فكان يقول: لا والله، لا أهجر، ولكي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:
إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي، اسمه اسمي، وشمائله شمائي، يبقر العلم بقرأ، فذاك
الذي دعاني إلى ما أقول.

قال: فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة، إذ هو بطريق، في ذلك
الطريق، كتّاب فيه محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فلما نظر إليه، قال: يا غلام أقبل،
فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، فقال: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي نفس جابر بيده، يا
غلام ما اسمك؟

فقال: اسمي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
فأقبل عليه يقبل رأسه، وقال: بأبي أنت وأمي، رسول الله صلى الله عليه وآله يقربك
السلام، ويقول لك...

قال: فرجع محمد بن علي عليه السلام إلى أبيه وهو ذعر، فأخبره الخبر.
فقال له: يا بني قد فعلها جابر؟
قال: نعم.

قال: يا بني الزم بيتك .

قال: فكان جابر يأتيه طرفي النهار، وكان أهل المدينة يقولون: واعجابه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار، وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن مضى علي بن الحسين عليه السلام .

وفي رواية أخرى عن أبي محمد جعفر بن معروف أنه قال: حدثنا الحسن بن علي النعمان، عن أبيه، عن عاصم الحنّاط، عن محمد بن مسلم، أنه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إنّ لأبي مناقب، ما هنّ لأبائي، إنّ رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: إنك تدرك محمد بن علي، فاقرأه مني السلام .

قال: فأتى جابر منزل علي بن الحسين عليه السلام، فطلب محمد بن علي، فقال له علي عليه السلام: هو في الكتاب، أرسل لك إليه؟ قال: لا، ولكنني أذهب إليه، فذهب في طلبه .

قال للمعلم: أين محمد بن علي؟ قال: هو في تلك الرفقة، أرسل لك إليه؟

قال: لا، ولكنني أذهب إليه .

قال: فجاء، فالتزمه، وقبّل رأسه، وقال: إنّ رسول الله ﷺ أرسلني إليك برسالة أن أقرأك السلام .

قال: عليه وعليك السلام . ثمّ قال له جابر: بأبي أنت وأمّي، اضمن لي الشفاعة يوم القيامة .

قال: فقد فعلت ذلك يا جابر .

يأتيه يتعلم منه

وكان محمد بن علي عليه السلام يأتيه علي وجه الكرامة ، لصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله ، قال: فجلس فحدثهم عن أبيه عليه السلام ، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قط أجراً من هذا!

(قال: فلما رأى ما يقولون ، حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قط أكذب من هذا) يحدث عمّن لم يره .

قال: فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله فصدقوه ، وكان جابر والله يأتيه يتعلم منه .

تذكر لنا بعض كتب الرواية أنّ الإمام الباقر عليه السلام ، روى عن هذا الصحابي الجليل جابر الأنصاري ، كما روى عن غيره أيضاً ، والذي يظهر أنّ الإمام الباقر عليه السلام إنما كان يروي عن جابر أو عن غيره لنوع مصلحة وإلا فهو عليه السلام غني بعلمه وعلوم آبائه عن أن يروي عنهم ، هذا وأنّ لجابر مرويات عديدة عن الإمام الباقر عليه السلام الذي راح يروي عنه وجوه التابعين وكبار فقهاء المسلمين ومصنفهم^(١) . وهنا بعض ما رواه عن الإمام الباقر عليه السلام وما رواه الإمام عليه السلام عنه .

فعن جابر أنّه قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: إذا حدثتني فأسنده لي .

فقال: حدثني أبي عن جدي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام ، عن الله عزّ وجلّ ، وكلّ ما أحدثك بهذا الإسناد .

وقال: يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها . فيما روى عنه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقربكم مني في الموقف غداً أصدقكم حديثاً ، وآداكم أمانةً ، وأوفاكم بالعهد ، وأحسنكم خلقاً ، وأقربكم إلى الناس^(٢) .

(١) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ، وشفوة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي .

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ٦٦ ح ١٣ .

وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل عليه السلام نزل عليّ وقال: إن الله يأمرك أن تقوم بتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام خطيباً على أصحابك، ليلبغوا من بعدهم ذلك عنك، ويأمر جميع الملائكة أن تسمع ما تذكره، والله يوحى إليك يا محمد أن من خالفك في أمره فله النار، ومن أطاعك فله الجنة.

فأمر النبي صلى الله عليه وآله منادياً فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج حتى علا المنبر، فكان أول ما تكلم به:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال: «يا أيها الناس! أنا البشير، وأنا النذير، وأنا النبي الأمي، إني مبلغكم عن الله جلّ اسمه في أمر رجل، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة العلم، وهو الذي انتجبه الله من هذه الأمة، واصطفاه وهداه، وتولاه، وخلقني وإياه (من طينة واحدة)، وفضلني بالرسالة، وفضله بالتبليغ عني، وجعلني مدينة العلم، وجعله الباب، وجعلني خازن العلم، والمقتبس منه الأحكام، وخصه بالوصية، وأبان أمره، وخوف من عداوته، وأزلف من والاه، وغفر لشييعته، وأمر الناس جميعاً بطاعته؛ وأنه عزّ وجلّ يقول: من عاداه عاداني، ومن والاه والاني، ومن ناصبه ناصبني، ومن خالفه خالفني، ومن عصاه عصاني، ومن آذاه آذاني، ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبّه أحبني، ومن أرادته أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني.

يا أيها الناس! اسمعوا لما أمركم به، وأطيعوه، فإني أخوفكم عقاب الله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ...﴾^(١).

ثم أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: معاشر الناس! هذا مولى المؤمنين، وحقّة الله على الخلق أجمعين، والمجاهد للكافرين، اللهم إني قد بلّغت، وهم

(١) آل عمران: ٣٠.

عبادك، وأنت القادر على صلاحهم، فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين.
أستغفر الله تعالى لي ولكم.

ثم نزل عن المنبر، فأناه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: جزاك الله عن تبليغك خيراً، فقد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وأرضيت المؤمنين، وأرغمت الكافرين، يا محمد إن ابن عمك مبتلى ومبتلى به، يا محمد! قل في كل أوقاتك: الحمد لله رب العالمين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(١)

كانت لجابر الأنصاري منزلة رفيعة ومكانة متميزة في كتب الحديث والرجال.

ذكر الكشي في ترجمته: قال الفضل بن شاذان: إنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وإنه من جملة من لم يرتدوا بعد قتل الحسين عليه السلام.

وهناك روايات أخرى يرويها كلُّ منهما عن الآخر، ذكرت في مصادر الحديث.

جابر وعلماء الرجال

كانت لجابر الأنصاري منزلة رفيعة ومكانة متميزة في كتب الحديث والرجال.

ففي رجال الشيخ: جابر ابن عمرو (عمر) بن حزام (حرام) نزل المدينة، شهد بدرًا وثمانية عشرة غزوة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مات سنة (٧٨) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما ذكره مع توصيفه بالأنصاري المدني العربي (العربي) الخزرجي، في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي أصحاب الحسن عليه السلام، وفي أصحاب الحسين عليه السلام، وفي أصحاب السجاد عليه السلام، وفي أصحاب الباقر عليه السلام قائلاً: أبو عبد الله

(١) انظر أمالي الشيخ المفيد: ٣٤٥ ح ٢.

الأنصاري صحابي^(١).

فما عدّه البرقي في أصحاب الرسول الأكرم ﷺ، ومن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، ومن شرطة خميسه، ومن أصحاب الحسين والسجاد والباقر ﷺ.

وعن ولائه لأهل البيت ﷺ قال بعض علماء الرجال:

ذكر الكشي في ترجمته: قال الفضل بن شاذان: إنّه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ.

وإنه من جملة من لم يرتدّوا بعد قتل الحسين ﷺ.

وقال العلامة: قال ابن عقدة: إنّ جابر بن عبد الله منقطع إلى أهل البيت ﷺ^(٢).

ونقل الكشي هذه الرواية عن حبه لأهل البيت ﷺ وانقطاعه إليهم:

حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا: حدّثنا أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن معاوية بن عمّار، عن أبي الزبير المكي، قال: سألت جابر ابن عبد الله، فقلت: أخبرني أيّ رجل كان علي بن أبي طالب؟

قال: فرجع حاجبه عن عينيه - وقد كان سقط على عينيه - قال: فقال: ذلك خير البشر، أما والله أن كنّا لنعرف المناققين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم إياه.

وفي قول آخر له، وهو يتوكأ على عصاه ويدور في سكك المدينة ومجالسهم: ... يا معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم على حبّ علي ﷺ.

في أسباب النزول

عن جابر بن عبد الله أنه قال في سبب نزول: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا

(١) راجع رجال الشيخ الطوسي.

(٢) انظر العلامة في القسم الأول من الباب ٣ من فصل الهمزة.

انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا^(١).

كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عيرٌ قد قدمت من الشام، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

وكان هذا لما أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سعر، فقدم دحية بن خليفة الكلبي في تجارته من الشام، وضرب لها طبلٌ يؤذن الناس بقدومه، ورسول الله ﷺ يخطب الجمعة، فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً. فنزلت هذه الآية، وقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده! لو تتابعتم حتى لم يبق أحدٌ منكم، لسال بكم الوادي ناراً^(٢).

ونظراً لوجود محكم ومتشابه في القرآن: لقوله سبحانه وتعالى: ﴿مِنهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٣).

فقد اختلف في تعريف كلٍّ منهما على أقوال، وكان لجابر رضوان الله عليه قول في تعريفها، وهو: المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله^(٤).

كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عيرٌ قد قدمت من الشام، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً... قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي محمد بيده! لو تتابعتم حتى لم يبق أحدٌ منكم، لسال بكم الوادي ناراً

- وكانت هناك أقوال ثلاثة في أول ما نزل من القرآن الكريم:

١ - فقول ذهب إلى أن أول ما نزل هو سورة العلق.

(١) الجمعة، الآية ١١.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي وغيره من كتب التفسير للآية المذكورة.

(٣) آل عمران: الآية ٧.

(٤) انظر متشابهات القرآن، لابن شهر آشوب: ٢.

فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني،
فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر
قم فأذر﴾^(١).

ويبدو أن جابراً رضوان الله
عليه اجتهد أن هذه السورة هي أول
سورة نزلت؛ لأن كلام رسول الله ﷺ
ليس فيه دلالة على أنها أول سورة.

ويبدو أيضاً أن حديث جابر
المذكور كان بعد انقطاع الوحي، فظنه
جابر بدء الوحي، وذهب بعض إلى
أن جابراً سمع النبي ﷺ يذكر قصة
بدء الوحي، فسمع آخرها ولم يسمع
أولها فتوهم أنها أول ما نزلت.
وفترة انقطاع الوحي يرويها
جابر أيضاً حيث يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يحدث
عن فترة الوحي، قال: فبينما أنا أمشي
إذ سمعتُ هاتفاً من السماء، فرفعت
رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء
جالساً على كرسي بين السماء
والأرض، فجئْتُ منه خرقةً - أي
فرعت - فرجعت، فقلت: زملوني

(١) صحيح مسلم ١: ٩٩.

فمن جماعة عن جابر، قال: بعث
النبي ﷺ يوم الاثنين، وطلن عليّ
يوم الثلاثاء.

٢ - وقول آخر أن أول ما نزل
هو سورة الفاتحة.

٣ - فيما ذهب جابر بن عبد الله
الأنصاري إلى أن سورة المدثر هي
أول ما نزل من القرآن الكريم.
تقول الرواية عن ابن سلمة أنه
قال: سألت جابر بن عبد الله
الأنصاري أي القرآن أنزل قبل؟
قال: ﴿يا أيها المدثر﴾.

قلت: أو ﴿اقرأ باسم ربك﴾؟
قال: أحدثكم ما حدثنا به
رسول الله ﷺ، قال إني جاورت
بحراء، فلما قضيت جوارِي نزلت
فاستببط الوادي، فنظرت أمامي
وخلني وعن يميني وشمالي - ولعله سمع
هاتفاً - ثم نظرت إلى السماء فإذا هو -
يعني جبرائيل - فأخذتني رجفة،

زملوني فدثروني ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ وهي الأوثان .

قال عليه السلام: ثم تتابع الوحي . أو فحى الوحي وتتابع كما هو لفظ البخاري^(١) .
وعن أول ما نزل من القرآن الكريم ، قال جابر بن عبد الله الأنصاري لما سأله أبو سلمة : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورتُ بحراء ، فلما قضيت جوارى ، هبطت فسمعت صوتاً ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، وعن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت برأسي ، فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثروني ، وصبوا عليّ ماءً ، قال : فدثروني وصبوا عليّ ماءً بارداً ، فنزلت : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ .

وعن ابن شهاب أنه قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجئنت منه خرقاً ، وجئت فقلت : زملوني ، زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحي^(٢) .

وعن ابن جريج أن جابر بن عبد الله قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ ، فتشرب ماءهم يوم وردها^(٣) .

(١) صحيح مسلم ٩٨:١ والبخاري ٤:١ ، وانظر أيضاً البرهان في علوم القرآن للزركشي ١: ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) تاريخ الطبري ١: ٥٣٥ .

(٣) المصدر السابق ١: ١٤١ .

وفيما اختلف السلف في من اتبع رسول الله ﷺ وأخى به وصدقته علي ما جاء به من عند الله من الحق بعد زوجته خديجة بنت خويلد وصلى معه .
 فعن جماعة عن جابر ، قال: بُعث النبي ﷺ يوم الاثنين ، وصلى علي يوم الثلاثاء^(١) .

مما علمه رسول الله ﷺ

تعلم هذا الصحابي الكثير من صحبته المتواصلة لرسول الله ﷺ ، ومما تعلمه - كما يقول هو - : دخلت علي رسول الله ﷺ ذات يوم ، فقال: مرحباً بك يا جابر ، جزاكم الله معشر الأنصار خيراً ، أويتموني إذ طردني الناس ، ونصرتوني إذ خذلي الناس ، فجزاكم الله خيراً .
 قال: قلت: بل جزاك الله عتاً خيراً ، هدانا الله إلى الإسلام ، وأنقذنا من شفا حفرة النار ، فبك نرجو الدرجات العُلا من الجنة .

اللهم إنك ربّ العرش العظيم ، اللهم إنك أنت الجواد الكريم ، فاغفر لي وارحمي وارزقني واسترني واجبرني وارفعني واهدني ولا تضلني ، وأدخلني الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

ثم قال ﷺ: يا جابر! هؤلاء الأعزاء أحد عشر عنزاً في الدار أحبّ إليك ، أم كلمات علمنهنّ جبريل عليه السلام أنفاً ، تجمع لك خير الدنيا والآخرة؟
 قال: فقلت: والله يا رسول الله إني لمحتاج وهؤلاء الكلمات أحبّ إليّ .
 قال ﷺ: قل: اللهم أنت الخلاق العظيم ، اللهم إنك سميع عليم ، اللهم إنك غفور رحيم ، اللهم إنك ربّ العرش العظيم ، اللهم إنك أنت الجواد الكريم ، فاغفر لي وارحمي وارزقني واسترني واجبرني وارفعني واهدني ولا تضلني ، وأدخلني الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) المصدر السابق: ١: ٥٣٧ .

والتابعين إذلالاً لهم، وحتى يجتنبهم
الآخرون ولا يسمعوا منهم. قال ابن
الأثير: كان الحجاج بن يوسف
الثقفي - والي العراق من قبل

قال: فطفق يردّدهن عليّ حتى
حفظتهنّ.

ثمّ قال لي: تعلمهنّ وعلمهنّ
عقبك من بعدك.

ثمّ قال: استقهنّ معك.

قال: فسقتهنّ معي^(١).

علمه

عرف هذا الصحابي الجليل
بأنه - إضافة إلى كونه عالماً بالتفسير
وأستاذاً معروفاً في الأحكام - راوٍ
للحديث بل من المكثرين فيه،
الحافظين للسنة، وكان من المعنيين
بتدوين الحديث، حتى راح يلي
أحاديثه على تلامذته - وهم من
التابعين - وهم يكتبونها، وكان منهم
كلّ من سليمان بن قيس الشكري،
الذي روى عنه حجة الوداع^(٢)،
ومحمد بن الحنفية، وعبد الله بن محمد
ابن عقيل ووهب بن منبه،
وغيرهم^(٣).

وكلّ هذا وغيره أثار حفيظة
الحجاج، ممّا جعله يختم في يده وفي
عنق آخرين معه من الصحابة

الأمويين - قد ختم في يد جابر بن
عبد الله (الأنصاري) وفي عنق سهل
ابن سعد الساعدي (الأنصاري)
وأنس بن مالك (خادم النبي ﷺ)
يريد إذلالهم، وأن يجتنبهم الناس ولا
يسمعوا منهم^(٤).

(١) مختصر تاريخ دمشق ٥: ٣٦١-٣٦٢.

(٢) انظر صحيح مسلم ٢: ٨٨٦ وشرح النووي ٣:
٣١٣-٣٥٦.

(٣) انظر السنة قبل التدوين: ٣٥٣، ومعرفة النسخ:
١٢٥.

(٤) انظر ترجمة سهل الساعدي في أسد الغابة

وكانت لجابر صحيفة مشهورة قد تكون في مناسك الحج كما ذهب إلى هذا بعض المحدثين، فيما ذهب فريق آخر منهم إلى أنّها غير المنسك الصغير، وقد تكون هذه النسخة موجودة في مكتبة شهيد علي باشا في تركيا. وفي طبقات ابن سعد والتاريخ الكبير للبخاري، يقول قتادة بن دعامة السدوسي: لأننا بصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة^(١).

بعض ما رواه

ونحن هنا نتعرف على اليسير مما رواه، فما رواه كثير، وقد روى عن رسول الله ﷺ مباشرة وبدون واسطة، وروى عنه بواسطة، فيما روى عنه كثير من الصحابة والتابعين. وكدليل على صدقه وأنه لا يكتم رأياً أو حديثاً نبوياً لغرض دنيوي أو هوى يُراوده، ننقل هذا الحديث بحق الصحابي الجليل سعد بن معاذ.

وجابر وإن كان من الخزرج، وسعد بن معاذ من الأوس، إلا أنّ دينه منعه عن قول غير الحق، أو كتمان منقبة قالها رسول الله ﷺ بحق صحابي وإن كان من قوم آخرين

فبعد أن توفي هذا الصحابي بعد معركة أحد التي أصيب فيها. وبعد أن أعلن حكمه العدل في يهود بني قريظة جزاءً للخيانة التي ارتكبوها والذنب الذي اقترفوه بحق الرسالة والرسول ﷺ، قال جابر الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ. فقيل لجابر: إن البراء (وهو من الخزرج) يقول: اهتزّ السرير. فقال جابر، وهو العارف بما جرى وحدث بين الأوس والخزرج - والذين

→ ٤٧٢:٢.

(١) انظر الطبقات ٧: ١-٢، والتاريخ ٤: ١٨٦/١ رقم ٨٢٧.

سموا بعد الإسلام بالأنصار - من معارك طاحنة خلفت بينهم الأحقاد والضغائن: كان بين هذين الحيين: الأوس والخزرج، ضغائن .
وراح يؤكد ما سمعه من رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اهتزَّ عرش الرحمن .

وجابر وإن كان من الخزرج، وسعد بن معاذ من الأوس، إلا أن دينه منعه عن قول غير الحق، أو كتان منقبة قالها رسول الله ﷺ بحق صحابي وإن كان من قوم آخرين، لهذا أكد الحديث، وتأكيد هذا يتضمن الإنكار على من يريد كتان هذا الحديث بما يحمله من فضيلة لسعد رضوان الله عليه (١) .

وفي الصلاة، روى ابن عساكر بسنده عن جابر أنه قال: كانت الصلاة مع رسول الله ﷺ حين كان الظلّ مثل الشراك، ثم صلى العصر حين كان الظلّ (للشيء) مثله، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى بنا الفجر، ثم صلى الظهر حين كل شيء مثله، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه قدر ما يسير الراكب إلى ذي الحليفة العنق، ثم صلى المغرب حين غاب الشفق، ثم صلى العشاء حين ذهب ثلث الليل، ثم صلى بنا الفجر فأسفر، فقيل له: كيف نصلي مع الحجاج وهو يؤخر؟ فقال: ما صلاها للوقت فصلوا معه، فإذا أحر فصلوها لوقتها واجعلوها معه نافلة (٢) .
وعنه أيضاً: قال رسول الله ﷺ سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله (٣) .

أحاديث الشفاعة عند أهل السنة

وعن جابر: أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً... وأحللت لي الغنائم

(١) انظر ابن الأثير في تاريخه .

(٢) انظر تاريخ دمشق، ترجمته .

(٣) رواه الحاكم عن جابر .

ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة... (١).
 وعن أنس وعن جابر:
 لكلّ نبي دعوة وأردت إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم
 القيامة (٢).

في المتعة

قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء، ثمّ
 ذكروا المتعة، فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر (٣).
 وروى أبو نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ، فقال: ابن عباس
 وابن الزبير اختلفا في المتعتين - متعة الحج ومتعة النساء - فقال جابر: فعلناهما مع
 رسول الله ﷺ ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعدلهما (٤).
 وقال ابن حزم: ثبت على إباحتها - أي المتعة - بعد رسول الله ﷺ ابن مسعود
 ومعاوية وأبو سعيد وابن عباس، وسلمة ومعبد ابنا أمية بن خلف، وجابر - أي
 جابر بن عبد الله - وعمر وبن حريث.
 ثم قال ابن حزم: ورواه جابر عن جميع الصحابة: «مدة رسول الله ﷺ وأبي
 بكر، وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر»... (٥).

وعن حرمة القتال في الشهر الحرام

روى جابر عن رسول الله ﷺ لا يُقاتل في الشهر الحرام إلا أن يغزى
 أو يغزو (٦).

(١) صحيح البخاري كتاب التيمم باب ١ ج ١، ٨٦/١، البيان: ٤٨٢ للخوئي.

(٢) صحيح مسلم، باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته ١: ١٣٠ - ١٣١، والبيان: ٥٢٨.

(٣) انظر صحيح مسلم: ٧٧٤، نكاح المتعة: ١٣١، ٣١٩ التبيين.

(٤) صحيح مسلم، باب نكاح المتعة ٤: ١٤١، التبيين: ٣١٨.

(٥) هامش المنتقى للفتي ٢: ٥٢٠.

(٦) البيان: ٣٠٥.

وفي قتل الحر والعبد

روى جابر، لا يقتل الحر
بعبد^(١).

وعنه عن النبي ﷺ قال: يجيء
يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف
والمسجد والعترة يقول المصحف: يا
رب حرّ فوني، ومزّ فوني. ويقول
المسجد: يا رب عطلوني وتقول
العترة: يا رب قتلونا، وطرّدونا،
وشردونا...^(٢).

مما قاله ورواه أيضاً

أجمل شيء للمرء أن يقضي
حياته مؤمناً، وينفق عمره مجاهداً
صادقاً، حكيماً فيما يقول، باحثاً عما
يرضي الله تعالى، محدّثاً عن
رسول الله ﷺ وعما يزيد ثباتاً في
الدنيا وثواباً في الآخرة، وهذا هو
جابر، الذي ظلّ مواظباً على هذا
كلّه، وظلّت كلماته مضيئة، كما مواقفه
هي الأخرى جميلة مليئة بالمعاني
العالية الرفيعة.

يقول عبد الرحمن بن سعيد؛
جئت جابر بن عبد الله الأنصاري في

فتيان من قريش، فدخلنا عليه بعد

**قال جابر لعبدّه: انطلق إليّ
هذا السواد وائتنا بخبره، فإن
كانوا من أصحاب عمر بن سعد،
فارجع إلينا لعلنا نلجأ إليّ ملجأ، وإن
كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه
الله تعالى.**

أن كفّ بصره، فوجدنا حبلاً معلقاً في
السقف وأقراصاً مطروحة بين يديه
أو خبزاً، فكلّمنا استطمع مسكين قام
جابر إلى قُرص منها وأخذ الحبل
حتى يأتي المسكين فيعطيه، ثم يرجع
بالحبل حتى يقعد، فقلت له: عافاك
الله، نحن إذا جاء المسكين أعطيناه،
فقال: إنّي أحتسب المشي في هذا، ثمّ
قال: ألا أخبركم شيئاً سمعته من
رسول الله ﷺ؟

قالوا: بلى.

قال: سمعته يقول: إنّ قريشاً
أهل أمانة، لا يبغهم العثرات أحد إلاّ

(١) سنن البيهقي ٨: ٣٤-٣٥، التبيان: ٢٩٤.

(٢) الخصال للصدوق.

أكبّه الله عزّ وجلّ لمنخريه .

وعن جابر أيضاً أنه كان يقول:

تعلّموا العلم، ثمّ تعلّموا الحلم، ثمّ تعلّموا العلم، ثمّ تعلّموا العمل بالعلم، ثمّ أبشروا.

وعنه أيضاً: هلاك بالرجل أن يدخل عليه الرجل من إخوانه، فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليه، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدّم إليهم.

وحدّث سهل بن سهل الساعدي عن أبيه، قال:

كنا بمبني فجعلنا نخبر جابر بن عبد الله ما نرى من إظهار قطف الخبز والوشي - يعني السلطان وما يصنعون - فقال: ليت سمعي قد ذهب كما ذهب بصري حتى لا أسمع من حديثهم شيئاً ولا أبصره.

وعنه: استغفر لي رسول الله ﷺ خمساً وعشرين استغفارة، كلّ ذلك أعدها بيدي، يقول: أديت عن أبيك دينه، فأقول: نعم، فيقول: غفر الله لك.

من مواقفه

يذكر أنه قدم مرّة إلى معاوية بدمشق، فلم يأذن له أياماً، فلما أذن له، قال: يا معاوية أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حجب ذا فاقة وحاجة، حجبه الله يوم فاقتة وحاجته.

فغضب معاوية وقال: لقد سمعته يقول لكم: ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض، أفلا صبرت؟

قال: ذكرتني ما نسيت، وخرج فاستوى على راحلته ومضى، فوجه إليه معاوية بستمائة دينار، فردّها وكتب إليه:

إنني لأختار القنوع على الغنى وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضي
وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لا أهين له عرضي

وقال لرسوله: قل له: والله يا ابن آكلة الأكباد، لا وجد في صحيفتك حسنة أنا سبها أبداً^(١).
وهو الذي روى في معاوية عن رسول الله ﷺ قوله: «يموت معاوية على غير ملتي»^(٢).

ولاؤه لعليّ ولأهل البيت ﷺ

عرف جابر بولائه الواعي الصادق لأهل بيت النبوة والرسالة فقد كان من أولئك المهاجرين والأنصار الذين بايعوا أمير المؤمنين علياً ﷺ بالخلافة ورضوا بإمامته وبذلوا أنفسهم في طاعته فعن أبي الزبير المكي أنه قال: سألت جابر بن عبد الله، فقلت: أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب؟
قال: فرجع حاجبيه عن عينيه، وقد كانا سقطا على عينيه، قال: فقال: ذلك خير البشر! أما والله إن كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم إياه.
وعنه أيضاً: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه، وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم، ويقول: علي خير البشر فن أبي فقد كفر، معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حبّ علي...، وقد شهد صفين مع عليّ ﷺ، وكان منقطعاً إليه، وقد فضّله على غيره كما ذكر ذلك ابن عبد البرّ في استيعابه، فيما نصّ على تشييعه ابن شاذان وابن عقدة والكشي.

أول زائر:

وفق هذا الصحابي أن يكون أول زائر لقبر الإمام الحسين ﷺ في كربلاء، فهذا السيد الجليل ابن طاووس يقول في كتابه الملهوف: ولما رجعت نساء الحسين وعياله من الشام، وبلغوا إلى العراق، قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء،

(١) انظر مروج الذهب.

(٢) انظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن والطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمع عليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً.

وعن الأعمش عن عطية العوفي أنه قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري عليه السلام زائراً قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد، فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر، قال: ألمسني، فألمسته إياه، فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق، قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يحيب حبيبه، ثم قال: أتى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفرق بين بدنك ورأسك. أشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكسا، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال:

السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر: فكيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم،

وأرملت الأزواج؟

فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من أحبّ قوماً حشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين ﷺ وأصحابه.

قال عطية: فبينما نحن كذلك وإذا سواد قد طلع من ناحية الشام، فقلت: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام، فقال جابر لعبدته: انطلق إلى هذا السواد وائتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد، فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

قال: فحضر العبد، فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين، قد جاء بعّماته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكفوف الرأس، إلى أن دنا من زين العابدين ﷺ، فقال الإمام: أنت جابر؟

فقال: نعم، يا ابن رسول الله.

فقال: يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا^(١).

﴿...إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾^(٢)

مبدأ التقية، مبدأ راحت تؤكد آيات قرآنية وأحاديث ومواقف نبوية، لست هنا بصدد التعرّض لها؛ لهذا اضطر هذا الصحابي ومن معه وبتأييد من أمّ المؤمنين الصالحة أم سلمة، إلى العمل به، ففي سنة أربعين للهجرة، بعث معاوية بسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف، فسار حتى قدم المدينة... فأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى

(١) انظر بشارة المصطفى وغيره.

(٢) آل عمران: ٢٨.

أم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال لها: ماذا ترين، إن هذه بيعة ضلالة، وقد خشيت أن أقتل.

قالت: أرى أن تباع، فأتاه جابر فبايعه، هذا ما ذكره ابن الأثير.
أما ما ذكره اليعقوبي في تاريخه فإنه قال لأم سلمة: إني خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة.

فقالت: إذا فبايع. فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب، ويحضرون الأعياد مع قومهم.

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، عن إبراهيم بن هلال أنه قال: روى عوانة عن الكلبي ولوط بن يحيى في خبر إرسال معاوية بسراً إلى الحجاز واليمن، أن بسراً فقد جابر بن عبد الله، فقال: مالي لا أرى جابراً يا بني سلمة لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر، فعاذ جابر بأم سلمة، فأرسلت إلى بسر بن أرطاة، فقال: لا أؤمنه حتى يبايع.

فقالت له أم سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: اذهب، فبايع، فذهبا وبايعا.

وعن جابر نفسه أنه قال: لما خفت بسراً وتواريت عنه، قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر، فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا، فبايعت، فحقت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلتنا، وسبيت ذرارينا، فاستنظرتهم إلى الليل، فلما أمسيت، دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر،

فقلت: يا بني انطلق فبايع، أحقن دمك ودماء قومك، فإني قد أمرت ابن أخي أن يذهب فبايع، وإني لأعلم أنّها بيعة ضلالة^(١).

وفاته رضوان الله عليه

اختلفت الأقوال في تاريخ وفاته، ففي الاستيعاب أنّه توفي سنة ٧٤هـ، وقيل سنة ٧٨هـ، وقيل سنة ٧٧هـ، وفي الإصابة أنّه توفي سنة ٧٣هـ، وفي المستدرک للحاكم أنّه توفي سنة ٧٩هـ. أما عن عمره، فهناك من يقول إنّه توفي وهو ابن ٩٤ سنة بعد أن ذهب بصره.

وكانت وفاته في المدينة المنورة أيام عبد الملك، يوم أن كان أبان بن عثمان أميراً عليها، وقد تولى الصلاة عليه، هذا ويذكر صاحب الإصابة أنه أوصى أن لا يصلي عليه الحجاج الذي شهد جنازته، إلا أن الذهبي ذهب إلى أن جابراً توفي والحجاج على إمرة العراق^(٢).

وفي رواية الكشي أنّه كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ وهو ما قاله أيضاً ابن عساكر وغيره، فيما ذكر في أسد الغابة أنه آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، ويبدو أن هذا هو الصحيح كما عليه بعض المحققين^(٣).

فسلام على جابر في الصالحين

(١) انظر ابن الأثير في تاريخه، حوادث سنة ٤٠ هجرية، وغيره من المصادر التاريخية.

(٢) مختصر تاريخ دمشق والاستيعاب والإصابة، وأسد الغابة، وتاريخ الإسلام.

(٣) انظر أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، جابر بن عبد الله الأنصاري.